الحياة الاجتماعيـــــة والخدمـــات

العمل

أحبُّ مِنَ النَّاسِ العَامِلَ أُحِبُّ الَّذِي يَجِدُ شجَرَةً وَاحِدَةً فَيَغرِسُ إِلَى جَانِبِهَا شجَرَةً ثَانِيةً. أُحِبُّ الرَّجُلَ الَّذِي يَصْنَعُ مِنَ الْأَعْشَابِ الجَافَّةِ المُهْمَلَةِ مَهْدًا لِلأَطْفَالِ، أَوْ نَافِذَةً تُدْخِلُ نُورَ الشَّمْسِ، أَوْ مِنْضَدَةً تسهِمُ في تَعْلِيمِ طِفْلٍ. وأُحِبُّ الرَّجُلَ يَبْنِي مِنَ الصُّخورِ المَنازِلَ والمَدَارِسَ. أحِبُّ الحَدَّادَ الَّذِي مَا أَنْزَلَ مِطْرَقَتَهُ عَلَى سَنْدَانِهِ، إِلَّا وَنَزَلَ مَعَهَا قَطْرَةٌ مِنْ عَرَقِهِ، وَأُحِبُّ الخَيَّاطَ الَّذِي يَحُوكُ مِنْ قُمَاشِ القُطْنِ قَمِيصًا وَمِنْ قُمَاشِ الصُّوفِ جُبَّةً، وَأُحِبُّ النَّجارَ الَّذِي لَا يَدُقُّ مِسْمَارًا إِلَّا وَدَقَّ مَعَهُ شَيْئًا مِنْ قُوَّتِهِ. وأُحِبُّ مَنْ يُحوّلُ الطَّينَ إِلَى آنِيَةٍ لِلزّيت أو العطرِ، وَفِي قَلْبِي حُبٌّ عَمِيقٌ لِّلرَّاعِي الَّذِي يَقودُ قَطِيعَهُ كُلَّ صَبَاحٍ إِلَى المُرُوجِ الخَضْرَاءِ، وَيُورِدُهُ المَنَاهِلَ الصَّافِيَةَ، وَعِنْدَمَا يَأْتِي المَسَاءُ يَعُودُ بِهِ إِلَى الحَظِيرَةِ، حَيْثُ الرَّاحَةُ والطُّمَأْنِينَةُ .

أُحِبُّ مِنَ النَّاسِ العَامِلَ لِأَنَّهُ يُجْمَلُ أَيَّامَنَا وَلَيَالِيَنَا أُحِبُّهُ لِأَنَّهُ يَعْمَلُ وَيَحُوكُ لِنَلْبَسَ الثِّيابَ الجَدِيدَةَ، أُحِبُّهُ لِأَنَّهُ يَبْنِي المَنَازِلَ العَالِيَةَ، وَيَسْكُنُ البُيُوتَ المُتَواضِعَةَ. أُحِبُّ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا أُحِبُّ وجُوهَهُمْ بِمَا عَلَيْهَا مِنْ عَلامَاتِ الصَّبْرِ وَالتَّجَلْدِ، وَأُحِبُّ جِبَاهَهُمُ المُضِيئَةَ بِنُورِ الاجْتِهَادِ. أُحِبُّهُمْ جَمِيعًا لِأَنَّهُمُ امْتَثَلُوا أَمْرَ دِينِهِم، فَدِينُ الْإِسْلَامِ دِينُ العَمَلِ. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "لَأَنْ يَغْدُوَ أحَدُكم فَيَحْتَطِبَ على ظَهرِهِ ، فيَتَصَدَّقَ مِنهُ ، و يَسْتَغْنِي به عنِ النَّاسِ ، خَيرٌ له من أنْ يَسألَ رَجُلًا ، أعطاهُ أو مَنَعهُ ، ذَلكَ بِأنَّ اليَدَ العُلْيَا ، أفضَلُ من اليدِ السُّفْلَى ، و ابْدأْ بِمنْ تَعُولُ"

كيف ولدت المهن؟

فِي الأَزْمِنَةِ الغَابِرَةِ، كَانَ الإِنْسَانُ الأَوَّلُ يَعِيشُ فِي الكُهُوفِ، يُطَارِدُ الحَيَوَانَاتِ لِيَحْصُلَ عَلَى قُوتِهِ، وَيَسْتَتِرُ بِجُلُودِهَا لِيَتَّقِي بَرْدَ الشِّتَاءِ. لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ مِهَنٌ وَلَا صِنَاعَاتٌ، بَلْ حَاجَاتٌ تَدْفَعُهُ لِلتَّفْكِيرِ وَالِابْتِكَارِ.

حِينَ رَأَى النَّارَ تَلْتَهِبُ بَعْدَ صَاعِقَةٍ، وَجَدَ أَنَّهَا تُطْعِمُهُ خُبْزًا أَلَذَّ وَتَمْنَحُهُ دِفْئًا أَعْذَبَ، فَكَانَ ذَلِكَ مِيلَادَ الطَّبَّاخِ. وَحِينَ جَمَعَ الحِجَارَةَ وَرَصَّهَا حَتَّى أَقَامَ مَلْجَأً صَغِيرًا، وُلِدَتْ مِهْنَةُ البَنَّاءِ. وَعِنْدَمَا بَذَرَ البُذُورَ فِي التُّرَابِ وَرَآهَا تُنْبِتُ سُنَابِلَ ذَهَبِيَّةً، تَفَتَّحَتْ مِهْنَةُ الفَلَّاحِ. وَمَعَ الحَاجَةِ لِلِّبَاسِ أَجْمَلَ وَأَكْثَرَ رَاحَةً، نَسَجَ الخُيُوطَ وَخَاطَ الأَثْوَابَ، فَظَهَرَ الخَيَّاطُ.

وَلَمْ يَتَوَقَّفِ الإِنْسَانُ هُنَاكَ، فَبِحَاجَتِهِ إِلَى العِلَاجِ جَاءَ الطَّبِيبُ، وَبِحَاجَتِهِ إِلَى الأَمَانِ بَرَزَ الجُنْدِيُّ، ثُمَّ تَتَالَتِ المِهَنُ كَالنَّهْرِ الدَّافِقِ: بَحَّارٌ يَشُقُّ الأَمْوَاجَ، وَمُعَلِّمٌ يُضِيءُ العُقُولَ، وَحِرَفِيٌّ يُحَوِّلُ المَادَّةَ الْبَسِيطَةَ إِلَى شَيْءٍ نَافِعٍ جَمِيلٍ.

إِنَّ كُلَّ مِهْنَةٍ وُلِدَتْ مِنْ حَاجَةٍ، وَكُلَّ زَمَانٍ يَحْمِلُ مِهَنًا جَدِيدَةً. فَمَنْ يَدْرِي؟ لَعَلَّ أَحَدَكُمْ سَيَكْتَشِفُ مِهْنَةً لَمْ تَظْهَرْ بَعْدُ، فَيَكُونُ اسْمُهُ مَكْتُوبًا فِي أَوَّلِ صَفْحَةٍ مِنْ تَارِيخِهَا!